دعاني دعوةً

قال في يوم جبلة، وفيه قتل لقيط بن زرارة، أبو دختنوس:

[الوافر]

أرَى لـــي كـــلّ يَـــوْمٍ مَـــعْ زَمَـــانـــي
عِـتَـابـاً فـي الـبِـعَـادِ وَفـي الـتّـدَانـي
يُـــرِيـــدُ مَـــذَلّـــتـــي وَيَـــدُورُ حَـــوْلـــي
بـــجَـــيْـــشِ الـــنَّـــائِـــبَـــاتِ إذا رَآنـــي
كَـــأنـــي قَـــدْ كَـــبِـــرْتُ وَشَـــابَ رَأسـي
وَقَـــلّ تَـــجَـــلّـــدِي وَوَهَـــى جَـــنَـــانـــي
ألا يـــا دَهْـــرُ! يَـــوْمـــي مِـــثْـــلُ أمْـــسـي
وَأعْـظَـمُ هَـيْـبَـةً لـمـن الـتَـقَـانـي[١]
وَمَـكْـرُوبٍ كَـشَـفْـتُ الـكَـرْبَ عَـنـهُ
بـضَـرْبَـةِ فَـيْـصَـلٍ لـمّـا دَعَـانـي[٢]
دَعَـــانـــي دَعْـــوَةً وَالـــخَـــيْـــلُ تَـــرْدِي
فَـمَـا أدْرِي: أبـاسـمـي أمْ كَـنَـانـي[٣]

(١) يشك في الأبيات الأربعة الأول من القصيدة.
(٢)، (٣) المكروب: المحزون. الفيصل: السيف البتّار. يذكر الشاعر أنه خلّص مكروباً من عذابه وآلامه، وهو قد أُحيط به من كلّ جانب وسط المعركة، فهبّ لردّ أعدائه عنه، لما سمع النداء؛ وهذا كافٍ، والشاعر لا يدري كيف كان صوت ونداء المستغيث، هل دعاه باسمه أم بكنيته؟

فَلَمْ أُمْسِكْ بِسَمْعِي إِذْ دَعَانِي
وَلَكِنْ قَدْ أَبَانَ لَهُ لِسَانِي (١)
فَفَرّقْتُ المَوَاكِبَ عَنْهُ قَهْراً
بِطَعْنٍ يَسْبِقُ البَرْقَ اليَمَانِي (٢)
وَمَا لَبّيْتُهُ، إلّا وَسَيْفِي
وَرُمْحِي فِي الوَغَى فَرَسا رِهَانِ (٣)
وَكَانَ، إِجَابَتِي إِيّاهُ، أَنِي
عَطَفْتُ عَلَيْهِ خوّارَ العِنَانِ (٤)
بِأَسْمَرَ مِنْ رِمَاحِ الخَطّ لَدْنٍ
وَأَبْيَضَ صَارِمٍ ذَكَرٍ يَمَانِ (٥)
وَقِرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ لَدَى مَكَرٍّ
عَلَيْهِ سَبَائِباً كَالأَرْجُوَانِ (٦)

---

(١)، (٢) يسارع الشاعر لاستجابة النداء، وهو لا يكتفي بسماعه، بل يلبّي المستجير، بأنه يبادر لنجدته بلسانه وسلاحه، فيفرّق الجموع من حوله بقوّته ويقهرهم بضربه الخاطف السريع الأسرع من البرق الآتي من جهة اليمن.

(٣) واستجابة الشاعر سريعة خاطفة؛ فكلّ ما معه من سلاح يسابق بعضُه بعضاً، فضلاً عن نخوته وإرادته.

(٤)، (٥) ومن عوامل سرعة تلبية الشاعر النداء أنه يمتطي فرساً مِطواعاً يستجيب لإرادة فارسه. ولم تكن الاستجابة كلاماً بل برمح أسمر مصنوع في مدينة الخط في البحرين لَدِن، وسيف بتّار صُنع من أفضل أنواع الحديد مذكّر.

(٦) القِرْن: المقاتل الكفوء. المَكَرّ: ميدان المعركة. السبائب: واحدها سبيبة: طرائق الدم. يصف الشاعر ما فعله ببطل لا يُقارن بغيره، وقد تركه مضرّحاً بدمائه، وقد بلّت دماؤه أثوابه، وكأنها صُبغت بالأرجوان.

تَـرَكْـتُ الـطّـيـرَ عَـاكِـفَـةً عَـلَـيـهِ
كَـمَـا تَـرْدِي إلـى الـعُـرْسِ الـبَـوَانـي[١]
وَتَـمْـنَـعُـهُـنّ أنْ يـأكُـلْـنَ مِـنْـهُ
حَـيَـاةُ يَـدٍ وَرِجْـلٍ تَـرْكُـضَـانِ[٢]
فَـمَـا أوْهَـى مِـرَاسُ الـحَـرْبِ رُكْـنـي
وَلـكِـنْ مَـا تَـقَـادَمَ مِـنْ زَمـانِ[٣]
وَمَـا دَانَـيْـتُ شَـخْـصَ الـمَـوْتِ إلّا
كَـمَـا يَـدْنُـو الـشّـجَـاعُ مِـنَ الـجَـبَـانِ[٤]
وَقَـدْ عَـلِـمَـتْ بَـنُـو عَـبْـسٍ بـأنـي
أهَـشّ إذا دُعـيـتُ إلـى الـطّـعَـانِ[٥]

---

(١) يروى «الغواني» بدلاً من «البواني». البواني، مفردهن بائنة: وهي المشاركة في زفّ العروس إلى بعلها، يصف الشاعر حالة من صرع، فإذا بالطيور الجوارح وقد أحاطت به، وكأنها في عرس كالبواني يشاركن بتقديم عروس ليلة زفافها إلى زوجها.

(٢) الصريع لا تزال بقايا حياة تجعله يُحامي عن نفسه؛ فهو يحرّك أطراف يديه ورجليه، ممّا يحول دون تمزيقه إرباً من قِبل تلك الطيور.

(٣) أوهى: أضعف. مراس الحرب: مداومة القتال. أثر الزمن في الكائنات كلها محتّم، وبخاصة في البشر؛ فالشاعر لم تؤثر فيه مداومته القتال والمعارك، بل تزيده تجربة ونضجاً في المعارك، ولكن شعوره بتقدّم العمر لديه ظاهرة دالة على غزو الشيخوخة لهذا الجسد.

(٤) بعض الرواة يشكون في هذا البيت، دانيت: قربت.

(٥) أهشّ: أسارع فرحاً بالقتال، تعلم قبيلة بني عبس بفرح عنترة عندما يقاتل؛ ففي ذلك إثبات لتفوّقه وإظهار لبطولته مصدر فخره واعتزازه.

وَأنّ الـــمَـــوْتَ طَـــوْعُ يَـــدِي إذا مَـــا
وَصَـلْـتُ بـنَـانـهَـا بـالـهِـنْـدُوَانـي[١]
وَنِـعْـمَ فَـوَارِسُ الـهَـيْـجَـاءِ قَـوْمـي
إذا عَـلـقُـوا الأعِـنّـةَ بـالـبَـنَـانِ[٢]
هُـمُ قَـتَـلُـوا لَـقـيـطـاً وَابـنَ حُـجْـرٍ
وَأرْدَوا حَـاجِـبـاً وَابْـنـي أبَـانِ[٣]

عنترة الهجين

قال في يوم جفر الهباءة:

[الرجز]

إنـي أنـا عَـنْـتَـرَةُ الـهَـجِـيـنُ
فَـجُّ الأتَـانِ قَـدْ عَـلا الأنِـيـنُ[٤]
يُـحْـصَـدُ فـيـهِ الـكَـفُّ وَالـوَتِـيـنُ
مِـنْ وَقْـعِ سَـيْـفـي سَـقَـطَ الـجَـنـيـنُ[٥]

(١) وما يعتبر مدعاة لفخر الشاعر بفروسيته أن الموت مطيع ليده إذا ما أمسك بسيف هندواني، مصنوع في بلاد الهند.

(٢)، (٣) ولا يكتفي الشاعر بفخره بنفسه، بل يفخر بقومه في الحرب، فهم في المعارك أبطال إذا ما امتطَوْا خيولهم وشدّوا أعنّتها؛ ومن مآثرهم أنهم قتلوا لقيطاً وابن حُجْر وحاجباً وابني أبان من بني تميم.

(٤)، (٥) الهجين: من كان عربيّ الأب أعجميّ الأم، الأتان: الطلح والأثل. يفخر الشاعر بانتسابه إلى أبيه العربيّ وأمّه الحبشيّة؛ فقد حاز شرفاً من جهة أبيه وصلابة جسد وقوّة من جهة أمه. وهو إذا أهوى بسيفه يحصد به =